توظيف التراث في الرواية العراقية المعاصرة

د. مازن قاسم مهلهل

جامعة بغداد / مركز أحياء التراث العلمي العربي

الملخص:

يعد التراث المنبع الثر الذي تستمد منه الكثير من البواعث والمنطلقات الحضارية والنفسية والروحية ، فهو يشمل ما خلفته الأزمنة الماضية وظل حياً فاعلاً من عادات وتقاليد وتجارب تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل ، وقد جرى توظيف مضامين كثيرة من هذا التراث في الأداب والفنون العربية الحديثة ، وبأشكال مختلفة بوصف التراث حضور الماضي الثقافي في الحاضر، وكونه مقوما من مقومات الشخصية العربية ، ووسيلة للحفاظ على الهوية أمام مدّ التحديات الخارجية.

وينظر إلى الرواية على أنها من أشهر الأنواع الأدبية وأوسعها انتشاراً بين أوساط القرإ في زمننا هذا . كما تعد من أقدم الفنون الأدبية (الحكائية) وجودا فهي الفن االمعبر عن حياة الشعوب وقضاياه. ومن بين هذه القضايا اشتغالها على التراث الذي يعد سمة من سماتها والذي يعمل على إرسا معالم الشخصية وتثبيتها ، مما يحيلنا من دون شك نحو الرغبة في الاطلاع على هذه التجربة ومدى غناها هي الأخرى ، بما خلفه التراث من فاعلية وتأثير في الروايات العربية ، ومنها العراقية الحديثة

لقد كان من أبرز الدواعي لاختيارنا هذا الموضوع اهتمامنا الشديد بالتراث أيا كان نوعه ، والرغبة عن كشف أهم ما يتميز به ، ومدى استيعاب فن الرواية الحديثة لمضامينه المختلفة.

ويقوم هذا البحث على تناول مفهوم التراث لغة واصطلاحاً ، ثم تبيان أنواع التراث ، لننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن توظيف التراث في الرواية العراقية ومجالات تمثله.

الكلمات المفتاحية: (توظيف التراث، الرواية العراقية المعاصرة).

Employing heritage in the contemporary Iraqi novel

Dr. mazin qasim muhalhal

University of Baghdad / Center for the Revival of Arab Scientific Heritage

Abstract:

The revolutionary heritage is that it derives many of the conventions and the civilizational, psychological and fragrance The generations were inherited by a generation after a generation, and many contents of this inheritance were employed in modern Arab literature and arts, and in different forms Heritage is described as the presence of the cultural past in the present, and its being one of the components of the human personality. It is a source of interest and a means of preserving one's identity in the face of external challenges.

The novel is considered one of the most famous and widely spread literary genres among literary circles. Reading in our time. It is also one of the oldest literary arts in existence, as it is the art that expresses expression The lives of peoples and their issues. Among these issues is its work on the heritage, which is a feature of its toxicity, which is working on the characteristics of the character and its installation, which means that it is not doubtful about the desire to take this time For another, the effectiveness and influence of the heritage in the Arab accounts, including modern Iraqi

It was one of the most prominent of the portfolio to choose this subject, our intense interested in heritage, which was its type, and the desire to reveal the most important of what is characterized by it, and the extent to which the art of the modern novel of its various contents is absorbed.

This research is based on examining the concept of heritage linguistically and terminologically, then explaining the types of heritage. Let us then move on to talking about the use of heritage in... The Iraqi novel and the areas it represents.

Keywords: (employing heritage, contemporary Iraqi novel).

المقدمة:

تأتي لفظة التراث في اللغة العربية مشتقة من مادة (ورث) ، وتعني ما يرثه ابن من أبيه من مالٍ وحسب ، أو حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي ممن سبقه ، ففي معجم (لسان العرب) يرد الآتي : ورث الشيء ورثاً، وورثة ، وإراثة، وأورث الميت ماله أي تركه له . وتوارثناه : ورثة بعضنا عن بعض . والتراث ما ورّث ، أو ما يخلفه الرجل لورثتهِ [١] . وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: " كلا بَل لا تُكرِمُونَ ٱليَتِيمَ ولاتَحَٰضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ المسكين وَتَأكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكلا لّمّا وتحبون المال حباً جما[٢] .

والمقصود بقوله (أكلا لما) ، كما يقول الزمخشري هو الجمع بين الحلال والحرام، أي أنهم كانوا يجمعون بين نصيبهم ونصيب غيرهم[٣] .

و تجعل المعاجم العربية مفردة (التراث) مرادفة لمفردات أخرى كـ : (الإرث) و (الوِرث) و(الميراث) . غير أن (الوِرث) و(المِيراث) خاصتان بالمال ، وأما الإرثُ فخاص بالحسب . وعلى هذا فإن مفردة (تراث) تحمل معاني متعددة ومتنوعة فهي تعني ما يتركه السلف من مال أو حسب وما يخلفه لمن يأتون بعده .

أما في الحدّ الاصطلاحي للتراث فقد اختلف الباحثون في مفهومه ، فتعددت دلالته وتشعبت مفاهيمه ، إذ يعرفه (مجدي وهبة) بأنه ما خلفه لنا السلف من آثار علمية وفنية وأدبية، مما يعد نفيسا بالنسبة إلى تقاليد العصر وروحه[٤] .

ويرى (محمد أركون) : أن التراث أخلاق وتقاليد تؤمن بها الجماعة ، ويرتبط بكل معلومات علمية تجريبية شعبية يتوارثها الأفراد في ممارسة الحرف والأعمال اليدوية [٥] .

وقدم (جبور عبد النور) في معجم مصطلحاته تعريفا أشمل وأهم ، فرأى أنه ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي ويوثقعلائقه بالأجيال العابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه[٦] .

وعلى هذا يتضح لنا أن التراث هو الميراث والإرث الذي وصلنا على مر العصور ، ولقد أثر تراثنا العربي وتأثر بحضارات غيره من الأمم والشعوب قديما وحديثا ، وزاد في إخصابه تطور صلات التأثير والترجمة والتبادل المباشر بين تلك الحضارات والحضارة العربية[٧] .

وعلى هذا يمكن القول أن التراث هو مجموع التاريخ المادي والمعنوي لأمة منذ أقدم العصور إلى الآن . أو أن تراث الأمة العربية الإسلامية لا يقف عند بداية التاريخ الإسلامي الذي جمعنا فيه اللواء الموحد، وإنما يمتد مع ماضيها إلى ما قبل ذلك موغلا في أعماقالزمن[٨].

لقد نظر النقاد والمفكرون إلى التراث من مفاهيم مختلفة ، وتحديداً في العصر الحديث، عندما اشتدت الرغبة للرجوع إلى الماضي ، فمن " طبيعة الأمم أنها في فترات نهوضها تلوذ بماضيها وتستوحي أمجادها السابقة ، وتعيش على نشوة ذكرياتها العابرة ، شأنها في ذلك شأن النهضة الأوروبية قبلها كانت ترمي إلى بعض الماضي العريق ، وإحياء التراث الغابر واستعادة الأمجاد السابقة ، وقد قيض للعرب ماضٍ زاهر وحضارة راسخة الأصول ، بوأتهم مكانة مرموقة بين الأمم في تاريخ البشرية"[٩] .

إن مجالات اشتغال التراث واسعة ومتشعبة إلى حد كبير. فهو يشتمل على معان متداخلة، لذلك حاول كثير من الباحثين الاجتهاد في ضبط مفهوم التراث بدقة، وإيضاح إطاره الوظيفي والمعرفي من خلال عدة تعريفات، ولكن الملاحظ أنها وإن كانت تتفق حول الخطوط العريضة للمفهوم فإنها في

المقابل تصب في قالب واحد وهو ما تضمنته كافة الانتاجات الموروثة من أدب وفنون وعادات وكل ما يمت بصلة إلى الإنتاج الموروث الذي جاءنا من الأجيال الماضية، فالتراث هو كل ماله علاقة بالذي وصلنا من العطاءالثقافي والديني والفكري والأدبي والفني وكل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة. فهو القصص والحكايات والكتابات، وتاريخ الأشخاص وما يظهر من قيم، وما عبر عن هذه جميعها من عادات و تقاليد وطقوس .

وهولا يقتصر على زمن معين لأنه ليس هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث، فكل ما خلفه أجدادنا من فنون متعددة ومتجددة وتقاليد وطقوس وممارسات فنية وأدبية هو تراثهم الذي نعايشه اليوم.

إن التراث هو الهوية الثقافية لأمة من الأمم، والتي من دونها تضمحل وتتفكك هذه الأمة، وهو رمز للتمييز بين الشعوب ، " والخطأ كل الخطأ أن يظن ظان أن تمسكنا بالتراث يلغي عصريتنا، إنه يقفنا على معرفة مقومتنا الثابتة وهي معرفة من شأنها أن تؤكد وجودنا وأن تجعلنا ننهض بدورنا الحضاري فيهذا العصر الذي نعيشه نهوضاً سديدًا"(١٠)

إن العودة إلى التراث تختلف . طبيعةً وهدفا ومنهجا . باختلاف مشارب العلماء والأدباء وغيرهم فلا عجب، والحالُ على ما تم وصفه، أن يكون حضور التراث في الكتابات الإبداعية كبيراً، ولاسيما الروائية منها فقد (أخذت دراسة التراث مساحة واسعة ومهمة في الدراسات النقدية والأدبية الحديثة عربيا وعالميا، انطلاقا من أن الماضي هو الأساس المتين للحاضر والمستقبل، والتاريخ العربي والإسلامي تاريخ عريق، به من قوة التراث والثقافي ما يشبع فهم المتلقي ويسد رمق روحه ثقافة لذلك لجأ المحدثون لهذا التاريخ. لينهلوا منه سطور المجد والخلود من خلال السير على طريقة التراث الإنساني عامة، بالاعتماد على تلاقح الثقافات وتلاقيها(١١)

وباعتبار أن الماضي هو الذي يحدد وجودنا من عدمه، وهو الذي يدفع الأمم إلى التطور والتقدم، كما يضيف أحد الباحثين القول:"إن عملية نقل التراث إلى الأجيال المعاصرة ليست سهلة فإنإحتمال التحريف المتعمد للقيم التراثية يعتبر من أبرز الأخطاء التي اقترنت بما تم في هذا المجال بسبب

الغزو الثقافي الذي تعرضت له أرض الحضارة الإسلامية، والذي أدى إلى إحلال قيم ثقافية جديدة تصل بالحضارة إن التراث . ونظراً لأهميته البالغة والكبيرة وبوصفه هوية الأمة وكيانها، فهو يطرح نفسه على الجميع بقوة ، ولعل ذلك ما أراده (فاروق خورشيد) حين رأى : " إن مصطلح التراث مصطلح شامل نطلقه لنعني به عالماً متشابكا من الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر التاريخ ، وهذا ما يجعل المبدع أو الكاتب بحاجة إلىالتواصل مع تراث أمته قصد الاستفادة منه، فالتراث . بكل أبعاده ومساراته . يشكل قضية أساسية لا يمكن تجاهلها، وبنا ضخما لا يمكن تجاوزه عند دراسة أي قضية، أو ظاهرة اجتماعية ، وهذا يوحي بأن التراث يدرس كل العلاقات القائمة بين الأفراد فهو يعيش فينا ويسري في عروقنا، ونحن نتعامل معه يوميا في شتى مجالات الحياة.[١٢] ، فاالمبدع حين يكتب نصه لا يكتبه من فراغ، بل من ورا مرجعية تراثية تبرز هويته، ولإحداث علاقة بين المبدع والمتلقي لمافيالتراث من لغة مشتركة وقيم متفق عليها ورموز وصور عرفت دلالاتها الأولىعلى نطاق واسع، فقد أصبحت دراسته في الرواية العربية من أهم الموضوعات التي انصب عليها اهتمامهم، لِمَا له من قيمة وترتيبها وتحديد علاقاتها بالزمان والمكان والشخصيات بغية الوصول من خلالها إلى أقصى الغايات .

ينقسم التراث إلى عدة أنواع، فمنه (التراث الديني) الذي يعد من أهم أنواع التراث ، فهو مظهر من مظاهر الإبداع للأمة ، ومعبرعن هويتها الاعتقادية ويمكن تعريفه بأنه الثقافة الدينية التي ورثناها عن الأجيال السابقة ، وهي نصوص القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية .

ويعني توظيف التراث الديني الاستعانة بالنصوص الدينية من مصادرها القرآنية . بالإضافة إلى توظيف الحديث الشريف والتراتيل الدينية والفكر الديني، وهو كثير التوظيف في الرواية العربية الموروث السردي الديني والإفادة منه ، و " يشكل جزءا من ثقافة أبنا المجتمع العربي، لذا فإن أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربي وقضاياه"[١٤].

وظفت الرواية العربية المعاصرة النص الديني على مستويات عديدة، كتوظيف البنية الفنية واستحضار الشخصيات الدينية والآيات القرآنية، وتصوير شخصية البطل وبنا أحداث الرواية في ضو أحداث القصة القرآنية، بالإضافة إلى التنويع في إدخال النص الديني في الرواية، والتراث الديني في قسم منه، هو تراث قصصي و لتأصيل الرواية العربية يقتضي العودة به إلى تفصيلات الواقعة السردية في النص القرآني والنظر إلى كيفية استثمارها في الرواية،.

لقد كان للقرآن الكريم عظيم الأثر في الرواية العربية، فقد وظف الروائيون الآيات القرآنية توظيفا فعالاً يدلل على أفكارهم وآرائهم المختلفة، وينقل القارئ من فضا الواقع المعيش إلى مرتكزات تراثية عميقة.

وهناك (التراث التاريخي) الذي يستفيد من وقائع التاريخ الإنساني ، ويصف أحواله وتطوره .وبذلك يصبح هذا العلم حصة عامة للإنسانية في جميع مظاهرها.

وهناك علاقة وثيقة بين الرواية والتاريخ الذي ينشأ من مخزون ذاكرة تاريخية تتدفق أثنا الكتابة، إذ بلعب الروائي دور المؤرخ ليقرب الزمنيين الماضي والحاضر، ويجعل الشخصيةالتاريخية حية، تغادر الزمن الماضي لتعيش في الحاضر من جديد(١٥).

وتربط بين التاريخ والرواية علاقة وطيدة ، فيعرف بعض النقاد الرواية بأنها: "قصة خيالية ذات طابع تاريخي عميق، وتأتي هذه العلاقة من طبيعة الفن الروائي الذي ينهض على تصوير الواقع المعيشي تصويرا فنيا تخييليا .

إن الروائي يعمل على استدعا التاريخ للمحافظة على التسلسل الزمني. وبما أن الرواية جز من التاريخ فقد استطاع هذا الجزء في بعض الحالات استيعاب رؤية تاريخية عميقة عبر فاعلية التكثيف والاختزال .

ويتمثل (التراث الأدبي) فيالرجوع إلى النصوص الأدبية االقديمة . ويطلق على هذا النوع من التوظيف، مصطلح (التناص) الذي بدوره أيضا استدعا نصوص قديمة أو تداخل نصوص قديمة في

نصوص جديدة، والملاحظ أنّاستدعا التراث يكمن في المضمون ،لأننا نرى الكاتب يعيد إنتاج ما تقدم وما عاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة أو يأخذ منها صورة شدته أو تعبيراً ذا قوة رمزية.

ويبقى أخيراً (التراث الشعبي) الذي يتضمن عادات الناس وتقاليدهم في بيئاتهم الشعبية ، وما يعبرون عنه من آرا وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلاً عن جيل، ويتكون الجزء الأكبرمن التراث الشعبي من الحكايات الشعبية والأشعار التي يجري التغني بها، والقصص البطولية والأساطير ويشتمل أيضا على الفنون والحرف وأنواع الرقص واللعب واللهو والأغانيني ، والأمثال السائدة والاحتفالات والأعياد الدينية[١٦] .

ومن أنواع التراث الشعبي هناك القصة أو الحكاية الشعبية التي كان الشكلانيون الروس أول من اهتم بها أمثال: (رومان جاكبسون)، و(فلادمير بروب) الذي يرى بأنها " تعني الأحداث في ترابطها وتسلسلها وفي علاقاتها بالشخصيات في فعلها وتفاعلها وهذه القصة يمكن أن تقدم مكتوبة أو شفوية[١٧] ، أي لابد للقصة من وجود راوٍ يقوم بتقديم القصة، وفي المقابل هذا الراوي هناك القارئ الذي يتلقى هذا الحكي . وعلى غرار (تودوروف) ينطلق ((توماشفسكي) من أن كل قضية تمتلك حافزا باعتباره أصغر وحدة معنوية وتسلسل الحوافز هو الذي شكل منه المادة الحكائية ، أي أن لكل قصة حافز حتى تشكل الحكاية وتكتمل معالمها.

أما (بروب) فعرفها بأنها "مجموعة الأحداث التي تجري في إطار زماني ومكاني"[١٨] .

وقد أتى تودوروف بما يسمى الوظيفة بدل الحافز الذي جا به توماشفسكي إذ كان عمله مهما وأساسيا لذلك تعرض للتطوير والاعتنا والانتقا.

وقد تناول مفهوم القصة أو الحكاية (جيرار جينيت) بقوله " إن الحكي بمعنى الخطاب هو وحده الذي يمكننا دراسته وتحليله تحليلاً نصيّا "[١٩] .

ومن العادات والمعتقدات التي كان الناس يتمسكون بها وما زال البعض منهم يقدسها إلى يومنا هذا بعض المعتقدات كالتفاؤل بشيء معين أو ربط أحداث ببعضها والاعتقاد في أنها سبب للخير أو الشر، ولمسنا ذلك في كثير من الروايات التي تتلمس الثيمة الشعبية ، كما في (رباعية) أبي كاطع (شمران الياسري)[٢٠]

إن توظيف الموروث الشعبي ومفرداته كان ينطلق غالباً من دعوة صريحة أو ضمنية إلى المحافظة على الهوية ومواجهة خطر التغريب، ولكن الأجيال الجديدة تواجه اليوم مشكلاتعدة، منها الانفصال عن الماضي وجذوره، نتيجة اهتمامهم بعالم التكنولوجيا الحديثة الذييحاصرهم في كل مكان، وأدى إلى وضعهم في عوالم مغلقة بعيداً عن التواصل

إن الإشارة إلى العادات والتقاليد وأنماط الزي الشعبي ونوعية الأطعمة والأكلات الشعبية هو جزء لا يتجزأ من الاهتمام بدراسة العادات والتقاليد الشعبية في أي بلد لأن ذلك كله بمثابة القاسم المشترك لكل فئات المجتمع ، و مهما اختلفت هذه الفئات والطبقات في المستويات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية ، فأنها تلتقي عند عند أنواع متعارف عليها ، توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل بكل ما يرافقها من عادات وتقاليد.

وتودي الأغنية الشعبية دوراً بارزاً في حفظ التراث . ولكل دولة تراثها وأغنياتها وأهازيجها الشعبية، التي تعبر بصورة أو بأخرى عن بيئة موروثها، وتقاليدها، التي تعكس صورة حية عن شعبها.

ولأن الأغنية الشعبية والأهزوجة من صميم الواقع الاجتماعي للشعب، فهي

معبرة عن الوجدان فقد كان ورودها في بعض الروايات أمراً مرسخاً لمقدار صدقها في التعبير عن بيئتها الشعبية

إن كثيراً من المعتقدات الشعبية هي تجسيد لفكر الجماعات ، يلعب فيها الخيال دورا فعالاً ليضفي عليها قوة في التأثير على متلقيها . وقد أدرك كثير من الروائيين هذه المسألة فأوغلوا في استثمار كثير من (الموتيفات) الشعبية في رواياتهم.

وربما يلجأ الكاتب إلى بعض الوقائع ذات السمت الشعبي القريب في تاريخيته ، وقد وضح هذا في الأعمال الروائية التي تناولت التاريخ القريب ، بما فيه من مضامين وإداء لهجي شعبي دال على بيئته إذ أن هناك إحساساً بأن الاتكا على هذا التراث لا يكفل التجاوب الأوسع مع تلك الرواية وحسب بل يقدم أيضا شهادةعلى الاعتزاز بالموروث المشترك.[٢١] .

مرّ الفن الروائي العربي بمراحل عدة ، يشار منها إلى (مرحلة التأسيس) تلك التي يؤرخ لها معظم الدارسين بظهور الارهاصات الحقيقية للرواية الفنية في الأدب العربيبي الحديث ، ويشيرون إلى رواية (زينب) للكاتب المصري (محمد حسين هيكل) . أما في العراق فيشار إلى رواية (في سبيل الزواج) لـ (محمود أحمد السيد) والملاحظ أن الروايتين تزخران بالإشارات التراثية إلى جانب كونها خطوة هامة عن طريق الرواية الفنية التي تقترب من تقنيات الرواية المعاصرة نتيجة تأثرهما بالرواية الغربية التي تهيأ للكتاب العرب الاطلاع عليها[٢٢] .

وقد جاءت . ومنذ خمسينات القرن الماضي مرحلة جديدة اتسمت بنضج الفن الروائي العربي ، وفيها أخذت الرواية تبحث عن أصالتها وهويتها الخاصة، بعد بعد أن أتقن الكتاب أصول القص والتقنيات السردية المعاصرة وقد حققت الرواية العربية هذه النقلة الهامة على طرائق انتمائها وأصالتها بالعودة إلى التراث القصصي والسردي والإفادة منه في البنية العامة وتصويرالشخصيات.

لم يظهر التوجه للتراث في الرواية العربية المعاصرة بلا مقدمات، بل وقفت ورء وجوده بواعث كثيرة ، يمكن الإشارة منها إلى النزوع الواقعي في التجسيد السردي ، ولاسيما بعد الإشكالات السياسية والاجتماعية التي عانى منها الواقع العربي منذ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م ، ومروراً بحرب حزيران١٩٦٧م، وما تمخض عنها من نتائج سلبية قادت إلى خيبة أمل كبيرة ظلت تحفرعميقا في

الوجدان العربي ، ولا سيما عند المثقفين العرب الذين أدركوا أن الهزيمة لم تكن عسكرية فقط بل كانت هزيمة حضارية أيضا، ما جعلهم يعيدون مسألة بنا الذات ومن خلال مساءلة الماضي والوقوف على الخصائص المميزة للهوية العربية تلك التي يشكل التراث عنصراً فاعلاً فيها. وقد استجابت فنون الأدب . ومنها الرواية . لهذا التوجه وتمثلته بعمق.

ولاشك في أن العلاقة بين الرواية العربية والغربية هو واحد من أهم الأسباب التي دفعت الروائيين العرب إلى التركيز على توظيف التراث ، ورصد عادات الشعب وتقاليده وتراثه

وهكذا تكون البواعث الثقافية قد مهدت لظاهرة توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ما بذله بعض النقاد والباحثين من جهود للعودة بالرواية العربية، إلى تلك الأصول والجذور التراثية بدلا من ربطها بالرواية الغربية . وقد وجد هؤلا الباحثون أن كتب التراث تنطوي على كثير من القصص، كالقصص الديني والتاريخي والشعبي.

لعل من يتابع أنماط التوظيف التراثي في الرواية العراقية سيجده متعدد الظواهر والأنماط والمضامين .

إن الاستعانة بالوقائع السردية التي يحملها التراث هي من التشكل في الرواية العراقية بما يمكن أن نطلق على نمطه وصف (الرواية التاريخية) سواء وهي تستلهم الماضي البعيد أو وقائع التاريخ السياسي والاجتماعي ومامر على البلاد من حوادث ووقائع جسدتها كثير من الروايات التي يصعب حصرها هنا . ويمكن أن نمثل لذلك بتعامل الكتاب العراقيين في رواياتهم مع كتاب(ألف ليلة وليلة) الذي ظهر أثر في الرواية العراقية في اتجاهين ، الاتجاه الأول الذي يبدو كأنه امتداد للقصص الشعبي ، حيث روح الحكاية . كما نجد الكثير من الأحداث والشخصيات والعناصر الأخرى قي الرواية التي يمكن أن تتفق مع أحداث ألف ليلة وليلة وشخصياتها ، وهو ما يمكن أن نمثل له برواية (مصير الضعفاء) للكاتب (محمود أحمد السيد) التي صدرت عام ١٩٢٢م، ورواية (في قرى الجن) لجعفر الخليلي .

أما الاتجاه الثاني فقد ظهر حين تطور فن الرواية في العراق، وأصبح الروائي مرتبطاً كل الارتباط بالواقع. عند ذاك شعر بإمكانية توظيف وقائع من ألف ليلة وليلة ومن شخصياته ، وعلى نحو من التشكيل الفني المؤثر.

وتظهر الشخصية المستعادة من التراث العربي بمختلف أنماطه فاعلة في الرواية العراقية التي كثيراً ما استعادت ما يمكن أن نسميه يعكس (البطل الإيجابي) الذي يعكس تمثلاً عاماً للشخصية ، وفي ذلك عودة إلى أبطال الأساطير والملاحم وحكايات ألف ليلة وليلة، أولئك الذين " عكسوا أبعاداً جماعية ، وكانوا يعبرون عن مجتمعاتهم وعن أمال شعوبهم وآمالها " [٢٣] .

وتمثل رواية (الأنهار) للكاتب (عبد الرحمن مجيد الربيعي) طبيعة استثمار الرواية للشخصية الأسطورية ، حيث استعادت شخصية (جلجامش) التي هدف كاتبها من خلال روايته . إلى أن يمنح (جلجامش) الأسطوري أبعاداً معاصرة "[٢٤].

ويتمثل في رواية (ليس ثمة أمل لكلكامش) نمط من التعامل مع الشخصية التراثية الأسطورية ، حيث يحاكي الكاتب الشخصيات الأسطورية ويستنطقها في وقائع قابلة للتأويل والاسقاط على الواقع الراهن.

أما رواية (النخلة والجيران) فتعد من الروايات التي تعاملت مع التراث الشعبي بوصفه لمسة فنية مركزة، حيث صورت البيئة الشعبية بمجتمعها وشخصياتها ، وفي الحوارات التي تجري بينها، وفي المكان المجسد لخصائص محلية متميزة

لقد وظفت الرواية العراقية التراث بشتى مضامينه بأنماط مختلفة لغاياتين أساسيتين الأولى : تندرج في الاستفادة من مضامينه فكرياً وتربوياً ، ولغايات ذات بعد إصلاحي من خلال التذكير بوقائع التراث وقيمها الأخلاقية والتثقيفية العالية .

" وقد ارتبطت نزعة الإصلاح بفترة أدرك فيها الكاتب مساوئ مجتمعه ، فوجه نقده لعيوبه من خلال الأعمال الروائية "[٢٥] ، وهو ما أدى إلى اتجاه كثير من الروايات نخو النزعة الداعية إلى التغيير وإصلاح أوضاع المجتمع في جوانب كثيرة.

أما الغاية الأخرى المهمة فقد تمثلت بالتراث نفسه ، فلغنى مضامينه وعمقها وخصب وقائعها كان اتجاه الروائيين العراقيين إليها مستلهمين منها ما يجسد تاريخ العراق في مراحل مختلفة ومخبرين به عن خصب وقائعها وعمقها وأهمية استعادتها والتذكير بها.

يأتي هذا إلى جانب المسعى في إثارة الحس الجمالي الذي يؤدي إلى استجابات نفسية مبتغاة لقد أغدق الروائيون العراقيون ثقافتهم التراثية في بناء متن سردي يحاكي قضية الماضي والحاضر، لنجد أنفسنا أمام وقائع استعانت بالماضي لمعالجة الحاضر، وإغناء وجوده بكثير من مضامين التراث وفاعليته.

*خاتمة:

يعرف التراث بكونه ما تراكم خلال الأزمنة من عادات وتجارب وفنون وخبرات وعلوم في أمة من الأمم أو عند شعب من الشعوب.

ولقد سعت الرواية العربية . ومن بينها الرواية في العراق . في العقود الأخيرة إلى توظيف التراث شكلا ومضموناً ، ليقف النص الروائي شاهداً ومرتبطاً بجذوره التراثية ، فالتراث جزء جوهري في حياة الأمم والشعوب ، فقد كان ولا يزال خزان المعرفة ، يغترف من بحره المتنوع في مضامينه كتّاب الرواية العراقية كونه ثروة كبيرة من القيم والعادات والثقافة المادية والفنون التشكيلية والموسيقية تتعارف عليه المجتمعات ويجب الاهتمام به .

لقد اتضحت معالم التراث الديني مما حملته الرواية من معتقدات وطقوس

شهدت الشخصيات التاريخية في كل مواقف على حوادث الرواية من البداية إلى النهاية والتي عبرت عن ثقافة الكاتبة الواسعة في هذا المجال.

وكثيراً ما تجسد وجود التراث الشعبي في السرد ، ولاسيما في تجسيد الحوار الروائي باللهجة الشعبية ، فحوى الأمثال والحكاية والأغنية وسواها من فنونه.

* * *

*الهوامش:

(١) ابن منظور، لسان العرب : مادة (ورث) .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الفجر، الآيات: ١٧،١٨،١٩.

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، مادة (ورث).

(٤) وهبة ، مجدي : معجم مصطلحات الأدب، ص٢٧٤.

(٥) محمد أركون ، تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، ص٥٩.

(٦) جبور عبد النور، المعجم الأدبي ، ص٢١٠.

(٧) ينظر : د. علي حداد ، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث

(٨) ينظر المصدر نفسه.

(٩) عمر الدقاق ،الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، ص٢٣٨.

(١٠) شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة ، ص٣٠.

(١١) عمر ربيحات، الأثر التراثي في شعر محمود درويش، ص٩٠.

(١٢) أكرم ضيا العمري، التراث والمعاصرة ، ص٣٠

(١٣) فاروق خورشيد

(١٤) ينظر : محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية المعاصرة ،ص٥٣.

(١٥) ينظر: صبري مسلم ، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية ،ص٥٣

(١٦) المصدر نفسه

(١٧) المصدر نفسه ،ص٣٦ . وينظر مصدره.

(١٨) المصدر نفسه

(١٩) المصدر نفسه

(٢٠) رباعية أبي كاطع ، شمران الياسري : االزناد ، بلابوش دنيا ، غنم الشيوخ ، فلوس احميد.

(٢١) ينظر:إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربيالمعاصر، ص٣٠٠.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) حمادي ، ص١٤.

(٢٤) المصدر نفسه ، ص٣٥.

(٢٥) المصدر نفسه ، ص١٥٠.

* * *

*المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم .

*أركون ، محمد :

. تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء العربي ، بيروت ١٩٨٦م.

* بروب ،

. مورفولوجيا الحكاية الخرافية ، ترجمة وتقديم أبو بكر أحمد باقادر، أحمد عبد الرحيم نصر. النادي الأدبي ، جدة ١٩٨٩م.

* الجابري ، د.محمد عابد :

. التراث والحداثة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١م.

*حداد ، د. علي

. أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٦م

* حمادي ، د.صبري :

. أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠م.

*خورشيد، فاروق :

. الجذور الشعبية في المسرح العربي ، دار المعرفة ، القاهرة ١٩٩١م.

*الدقاق ، عمر:

. الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، جامعة حلب ، ١٩٧٧م.

*ربيحات ، عمر:

. الأثر التراثي في شعر محمود درويش ، دار البازوري للنشر والتوزيع ،عمان، ٢٠٠٧م.

* الزمخشري، جار الله :

. الكشاف ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٨م.

*ضيف ، د.شوقي :

. في التراث والشعر واللغة، دار المعارف ، مكتبة الدراسات ، القاهرة

*د.عباس ، إحسان :

. اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشرق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

*عبد النور، جبور:

. المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م.

*العمري، أكرم ضيا :

. التراث والمعاصرة ، قطر ٢٠٠٥م.

*ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل :

. لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ٢٠٠٤ م.

* وتار، محمد رياض :

. توظيف التراث في الرواية المعاصرة ، الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م.

*وهبة ، مجدي :

. معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤م.

*الياسري ، شمران :

. رباعية أبي كاطع ، دار الرواد ، بغداد٢٠٠٧م.